بسم الله الرحمن الرحيم

مناهج تدريس اللغة العربية وآدابها في المدارس و الجامعات الدينية في باكستان

تقويم و اقتراح

محمد زاهد

نائب رئيس الجامعة الإسلامية الإمدادية فيصل آباد

الحمد لله رب العالمين و العاقبة للمتقين و الصلاة و السلام على خير خلقه محمد و آله و صحبه أجمعين و من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، و بعد :

فأرى من الواجب علَيّ أن أتوَجّه أوّلا بالشكر الجزيل لجامعة الكليّة الحكوميّة فيصل آباد و قسم اللغة العربية و آدابها على ما أتاحت لطالب علم عاديّ مثلي من الفرصة للإسهام في هذا المؤتمر العظيم و في هذه المناسبة الكريمة ، و أثنّي با لتهنئة للقائمين على الجامعة عامة و المسؤولين عن قسم اللغة العربية و آدابها خاصة على ما قاموا به من خطوة إيجابية نحو هدف سامٍ بتنظيم هذا الملتقى العظيم.

اللغة العربية بين العالمية و العولمة:

لما علمتُ أن جامعة الكلية الحكومية بفيصل آباد عازمة على عقد مؤتمر حول اللغة العربية و تفضّل فضيلة رئيس قسم اللغة العربية و آدابها بتكيلفي بالإسهام في هذا المؤتمر أردت أن أبدأ حديثي بسؤال يطرح نفسه في مثل هذا الموقف ، وهو لماذا الحديث عن اللغة العربية و آدابها و البحث عن سُبل نشرها و طرُقِ تطوير مناهج تدريسها في باكستان ؟ اللغة الرسمية في باكستان هي الأردية و الإنجليزية (١) ،واللغة القومية هي الأردية ، اللغات المحلّية هي البنجابية و السندية و البشتو و البلوشية و ما إليها من لغات شتّى ليست العربية منها ، فما أهمية الحديث عن اللغة العربية بهذه البلاد التي ربما تبدو بعيدة الصلة عنها من الناحية اللغوية البحت؟!

أردت أن أبدأ حديثي بالإجابة على هذا السؤال ، لكن لمّا اطّلعت على البرنامج

التفصيلي للمؤتمر رأيت أنّ منظميه قد كفونا ـ موَفّقين ـ الإجابة على هذا التساؤل ؛ حيث إن عنوانه " دور العربية العالمي " فالإحساس بضرورة جمع هذه النخبة من أساطين العلم و الأدب للتنقيب عن الجوانب المختلفة لموضوع اللغة العربية وليُدُ الإحساس بأن هذه اللغة العظيمة ليست لغةَ شعب من الشعوب أو منطقة من المناطق ، و إنما هي لغة عالمية لا يمكن تحديدها بالحدود السياسية أو الجغرافية أو العنصرية الضيّقة ، إنها أدّت في الماضي دورا عالميا في شتى مجالات الحياة و أسعدت البشرية ، و من الواجب ليس العربي فقط و ليس الإسلامي فحسب بل من الواجب الإنساني أن يعادَ إليها دورُها العالمي و تعادَ هي الأخرى إلى أداء هذا الدور.

إن اللغة العربية التي نشأت و نمت في شبه الجزيرة العربية " بين واحات النخيل ، وبين كثبان الرمل " لم يكن بحسبان أحد إلى العقود السبعة الأولى من منتصف القرن السادس الميلادي أنها ستكون في يوم من الأيام لغةً عالمية ، لغةَ علمٍ و معرفة ، ترتوي من منهلها الأمم و تُروي غُلّتَها الثقافية ، و تَبنِي على ثرواتها و معطياتها صرحَها الحضاري ، لم يكن أحد في ذلك الوقت ليتنبّأ بذلك ، لأن اللغة تعكس الحالة السياسية و الاجتماعية و الثقافية للناطقين بها ، و كان العربي يعيش في ذلك الوقت حياة انطواء و انزواء ، بمعزل عما يسمّى بـ " الأمميّة " أو " العالميّة " يقول **حنّا الفاخوري** :

> وعزلة البدوي أنمت فيه الروح الفردية ، فتعذّر عليه أن يرفع مستواه إلى مصاف الإنسان الاجتماعي المعروف بنزعته الأممية(٢)

ويقول أيضا :

> وهنالك نزعة تُلفيها مسيطرة على الشعر الجاهلي هي النزعة التي تمتزج فيها الذاتيّة بالشخصية القبليّة ....فالشاعر الجاهلي ، شأنَ البدائي ، أنانيّ إلى حد بعيد ، لايكاد يرى على مسرح الوجود إلا ذاته ماثلة أمام عينيه منفردة أو متلبّسة بالقبيلة و العشيرة (٣) .

لكن شاء الله أن تكون هذه اللغة وعاءً للرسالة الإلهيّة الخالدة ، و قدّر الله أن

يُكتب لها الخلود مع خلود هذه الرسالة ، و أن تَبْرُز بفضل هذه الرسالة مواهبُها و إمكانياتها الكامنة لأن تكون لغة عالمية واسعة النفوذ سريعة الانتشار و الازدهار ، أن تكون لغة الدين و العلم ، لغةَ البحث العلمي و الاكتشافات العلمية ، لغةَ الريادة الفكرية و القيادة الاجتماعية ، لغةُ تفرض زعامتها على اللغات المتحضرة آنذاك .

نحن اليوم نعيش في عصر رقيّ باهر في وسائل الاتصال ، عصرِ الدعوات المتجددة إلى العولمة، فبما أن االعالم كلُّه أصبح قرية كروية ، بل بعبارة أصح بيتا كرويا ، كان من الطبيعي أن تظهر الدعوات إلى توحيد الأنظمة و جميع ما يشكّل الحياة ، فالقرية الواحدة بل البيت الواحد لا يصلح فيه إلا نظام واحد ، فاختلاف الأنظمة إنما كان قد جاء لتَعسُّرِ اتصالات الأمم بعضها مع البعض ، فإذا تقلصت البشرية في قرية واحدة فلا مبرر هناك إلى بقاء هذا الاختلاف ، لكن هناك فرقا بين العالمية و العولمة ؛ فالعولمة معناه أن تجعل الشيءَ عالميا ، والعالمية أن يصير الشيءُ عالميا ؛ فالعولمة تعني شيئا يفرضه بعض الدول القوية على البشرية أجمعها ، و العالمية تعني أن تُتْرك البشرية و سجيّتَها و إرادتَهافتختار شيئا وهي على بيّنة من أمرها بُغيةَ وحدةالنظم .

و الإسلام دعا إلى العالميّة قبل أربعة عشر قرنا ، فأخبرنا أن الرب هو رب العالمين و أن الكعبة هدى للعالمين و أن الرسول ﷺ أرسله الله تعالى رحمة للعالمين و أرسله الله إلى كافة الناس بشيرا ونذيرا ، دعا إليها في بيئة الانطواء و التقوقع ، في عصر لم يكن أحد يتصور فيه هذا التقدم الهائل في مجال الاتصال، مع ملاحظة أن الدين يقتضي في معظم الديانات اختيار إحدى الحسنيين ، إما الدنيا و إما الآخرة ، و الدين يعني عندها الاعتزال عن معترك الحياة و الهروبَ عن مواجهة الواقع العملي ، فجاء الإسلام و أخبر أن الجمع بين حسنة الدنيا و حسنة الآخرة أمر مطلوب ؛ فالدين الإسلامي هو الدين الوحيد الذي دعا إلى العالمية بهذا الوضوح ، و هو المرشّح الوحيد في مضمار العالمية من بين الأديان.

فالعولمة أمر يراد به أن يفرض على البشرية على ما فيه من زيف و اصطناعية ، و العالمية أمر طبيعي لا محيص للعالَم عنه ، و البشرية بطبعها أبيّة تأنف أن يُفرَض عليها

شيء ، فنحن و إن كنا نعيش فى عصر العولمة لكن البشرية صائرة ـ إن شاء الله ـ إلى العالمية ، فإذا أرادت البشرية أن تختارلها بنفسها وهي تملك أمرها غيرَ مغشوشة و لا مخدوعة فإن اختيارها سيقع على ما دعا إليه الإسلام ، و عندئذٍ تبلغ اللغة العربية فى عالميتها ذِروتَها.

ساداتي وسيداتي ! إنني أخشى أن ينأى بى الحديث عن عالمية هذه اللغة الحبيبة من صميم موضوعى ؛ فالحديث عن عالميتها ذو شجون و فنون ، والذى أردت أن أقوله باختصار هو أن الإحساس بضرورةدراسة موضوع اللغة العربية فى هذا المؤتمر منبثق عن الإحساس بعالميتها ، و عالميتُها منبثقة عن إسلاميتها ، فلا غرو أن تكون هذه اللغة موضعَ اعتناء و مصدر اعتزاز فى بلد أنشئ باسم الإسلام ، و يجتمع أولو العلم و الأدب للبحث عن سبل إحياء ها و نشرها و تحسين وضعها فى هذا البلد ، فكل من اللغة و البلد يكسب أهميته من إسلاميته ، و فصل هذه أوتلك عن الإسلام يعني حرمانَها عن هويتها و مصدر عزها .

هذا ، و لا يُجحَد ما لموضوع اللغة العربية من أبعاد أخرى اقتصادية و تجارية و سياسية ودبلوماسية ، و لكنّ إسلاميتها أهمُ منظورٍ يدرس منه موضوع هذه اللغة ، ومن هنا تتّضح أهمية دراسة مناهج تدريس اللغة العربية المرتبطة بنظام التعليم الديني فى باكستان وبيانِ ما فيها من مواطن ضعف، و البحثِ عن وسائل تطويرها و تحسينها و جعلِها أكثر فائدة و أداءً للهدف المنشود منها ، وهذا ما سيحاول القيام به هذا البحث المتواضع.

و نظرا لقلّة الوقت المتاح لكتابة هذا البحث و توخّيا للاختصار و تركيزا للبحث على عيّنة واحدة من عيّنات نُظُم التعليم الديني فى باكستان ركّزتُ دراستي على المناهج المتّبَعة فى **وفاق المدارس العربية باكستان** بوصفه أكبر نظام أهلي للتعليم الديني فى باكستان من حيث عددُ الطلبة و الجامعات و المدارس المنتسبة إليه.

أهمية دراسةوتطويرمناهج تعليم العربيةفي المدارس الدينيةفي باكستان:

وهناك أسباب أخرى لأهمية دراسة و تطوير مناهج تعليم اللغة العربية فى المدارس

الدينية في باكستان ، منها :

١ . المساحة الزمنية التي يستغرقها تدريس اللغة العربية و آدابها و قواعدها أكبر من أيّ مجموعة من المواد الأخرى المدروسة فيها، و إليكم جدولا (٤) بمجموعات المواد المختلفة و الساعات الدراسية (سنويّا) المخصصة لكل من هذه المجموعات في المراحل التعليمية من الثانوية إلى العالمية (ما جستير) :

المواد	عدد الساعات (من الثانوية إلى العالمية)	النسبة المئوية
اللغة العربية و آدابها و قواعدها	١٥	٪٣٠
الحديث و علومه	١٢	٪٢٤
الفقه و أصوله	٩	٪١٨
القرآن و علومه	٦	٪١٢
العقيدة و المنطق و الفلسفة	٥	٪١٠
السيرة النبوية و التاريخ الإسلامي	٢	٪٤
الاقتصاد الإسلامي	١	٪٢
المجموع	٥٠	١٠٠

فحسن استخدام هذا الوقت بتصميم و تخطيط متقَنَين يجعلنا نجني من هذا المجهود ثمرات أفضل من ذي قبل.

٢ . لعل النظام المتبع في المدارس و الجامعات الدينية هو النظام الوحيد في باكستان الذي يقضي فيه الطالب ثماني سنوات متتابعة في الكتب المكتوبة باللغة العربيّة .

٣ . و بفضل ما ذكرنا لقد شهدت التجارب أن طلبة و خريجي المدارس الدينية خام طيّع يسهل صهره في شكلٍ عالم متمكن من اللغة العربية أكثر من أي طالب منتمٍ إلى أي نظام آخر ، فالبذل المجهود فيهم أكثر إيتاءً للثمرات المرجوة شريطةَ أن يكون ذلك

بطريقة منظمة مع مراعاة الأسس و القواعد الحديثة في هذا الصدد.

ما هو الغرض من تدريس اللغةالعربية في هذه المدارس:

وهنا قد يتساء ل البعض: إن الغرض الأساسي من التعليم في هذه الجامعات و المدارس هو تمكين الطالب من فهم الكتاب و السنة و ما أُلّف في مجالات المعرفة الإسلامية المختلفة، و تكفي لإيفاء هذا الغرض إحدى المهارات اللغوية الأربع و هي مهارة القراءة أي فهم النص المكتوب و استيعابه، ولاشك أن النظام المتبع في هذه المدارس والجامعات ناجح إلى حد كبير في هذا الصدد، فهل تبقى هناك حاجة إلى تدريس اللغة العربية كلغة حيّة و بطريقة شاملة للمهارات الأربعة الأساسية وهي الاستماع أي فهم المنطوق و التكلم و القراءة و الكتابة؟، والإجابة أن لاتّباع الطريقة الشاملة والاستفادة من التجارب الحديثة في تعليم اللغات تأثيرا إيجابيا على الأهداف الأساسية لهذه المؤسسات، و ذلك لأمور منها:

١. إن المهارات اللغوية مهارات متشابكة بعضها في بعض، يُكمِل بعضها بعضا؛ فالعَوز في بعضها يعود على الأخرى بالنقص فيها، فتحسين مهارات الاستماع و الكلام و خاصة الكتابة يعود بجميل الأثر على مهارة القراءة أو فهم النص المكتوب والعكس بالعكس، ولاشك أن مهارة القراءة من صميم أهداف التعليم في هذه المؤسسات.

٢. إن المشتغل بالعلوم الإسلامية لا يسعه أن يعيش منغلقا على نفسه بعيد الصلة بما يصدر في العصر الراهن في الفكر الديني، خاصة فيما يستجد من أفكار و مسائل و مشاكل و مايُقدَّم لها من حلول، و إن الطريقة المتبعة لتدريس اللغة العربية في معظم هذه المدارس و الجامعات و إن كانت تؤهِّل الطالب للاستفادة من الكتب القديمة لكنها لا تغني في فهم ما استجد من بحوث و أفكار؛ لأن للبحث في المسائل و المشاكل وليدةِ هذا العصر أسلوبا و مصطلحاتٍ لا تزال غير مألوفة لهذا الطالب، فتدريس اللغة العربية و آدابها بالطريقة الشاملة لجميع المهارات اللغوية و توسيع نطاق المادة المقدَّمة للطالب إلى الأدب العربي المعاصر مما يمكِّنه من الاستفادة مما أنتجه الفكر الديني المعاصر في

اللغة العربية.

٣. إن العالم الديني لكي يتمكن من أداء وظيفته كاملا يحتاج إلى الاطلاع على منتجات الفكر الأجنبي خاصة الفكر الغربي لكي يقارن بينه و بين الفكر الإسلامي و يبيّن موقف الإسلام منه ، و اللغة العربية أكبر وعاءٍ للمعرفة المعاصرة من بين اللغات الإسلامية ؛ فتُرجم إليها ما لم يترجم إلى الأردية و غيرها من اللغات الشرقية التي يتقنها الطالب الباكستاني ، فبالتضلع من العربية بما فيها من أساليب التعبير المعاصرة يستطيع هذا الطالب أن يوسّع أُفُقَه الفكري و الثقافي بقراءة هذه التراجم .

٤. هناك فكر إسلامي قيّم و أدب ديني رائع أنتجه المفكرون و الأدباء في شبه القارة عامة و في باكستان خاصة في شتى لغاتها ، و الأخذ و العطاء بين الشعوب و الحضارات في مجالي الفكر و الأدب بمثابة الدم المتدفق في العروق أو بمنزلة الماء للحياة ، فالحاجة ماسّة إلى تعريب هذا الفكر و هذا الأدب والتعريف بهما ؛ و تحسينُ مناهج و طرق تدريس اللغة العربية في المدارس و الجامعات الدينية يُرجى أن يكون أكبر عون في هذا الصدد.

نظرة عامة على المواد المدروسة في هذه المدارس والجامعات:

و إليكم جدولا بالكتب المقررة في المراحل التعليمية المختلفة لتدريس اللغة العربية و قواعدها و آدابها :

المواد	**الكتب المقررة**
الصرف	علم الصرف (باللغة الأردية ــ أربعة أجزاء) ، تيسير الأبواب ، صفوة المصادر علم الصيغة (باللغة الفارسة أو الأردية)
النحو	علم النحو(بالأردية) /نحو مير(بالفارسية أو ترجمته إلى العربية) ، شرح مائة عامل ، المنهاج في القواعد و الإعراب /النحو اليسير ، هداية النحو ، الكافية ، شرح الملا الجامي على الكافية

اللغة العربية والإنشاء(بمعونة اللغة العربية)	الطريقة العصرية في تعليم اللغة العربية ج ١و٢ ، معلم الإنشاء ج ١و ٢و ٣	
النثر العربي	القراءة الراشدة ج ١ ، نفحة العرب ، مقامات الحريري ، مختارات من أدب العرب	
الشعر العربي	السبع المعلقات ، ديوان الحماسة (لأبي تمام)	
البلاغة	دروس البلاغة ، تلخيص المفتاح ، المختصر شرح تلخيص المفتاح للتفازاني	

إيجابيّات هذه المقررات:

و لهذه المناهج و المقررات إيجابيّات و سلبيات ؛ فمن إيجابيّاتها :

١. بعض الكتب من هذه المقررات تُعَدّ من أشهر و أروع نماذج التراث العربي ، فـ **المعلقات السبع** هي زبدة الإنتاج الشعري العربي في أهم عصوره و هو العصر الجاهلي ، و **ديوان المتنبي** ديوانُ نابغةٍ من نوابغ الشعر العربي قلّما استرعى شاعر من انتباه النقاد ما استرعاه هو منه ، وقد أُذكيت حول عمله الشعري معارك نقدية أثْرَت النقد العربي الأدبي بثروة لا يستهان بها ، و **ديوان الحماسة لأبي تمام** هو عصارة الإنتاج الشعري في العصرين الجاهلي و الإسلامي ، و في حينٍ يقف الطالب بقراءة **المعلقات السبع** و **ديوان المتنبي** على نماذج من القصائد الكاملة و يطلع على كِيَان القصيدة العربية القديمة وميّزاتها ، يقف بقراءة **ديوان الحماسة** على مقطوعات شعرية مختارة.

٢. **مقامات الحريري** و إن كان غير مقدور الاتباع من ناحية أسلوبه فإنه يزيد من حصيلة الطالب من المادة المعجمية و يُثري قاموسَه .

٣. بعض الكتب من هذه المقررات أُلّفت في عصرنا الحاضر و روعيت فيها ــ إلى حد كبيرـــ متطلبات تدريس اللغة الثانية غير لغة الأم مثل **الطريقة العصرية** للدكتور عبد

الرزاق إسكندر.

٤ . بعض هذه الكتب أعدّت في **دار العلوم** التابعة لـ**ندوة العلماء لكنو الهند** ، و لا يخفى ما ل**ندوة العلماء** من أياد على اللغة العربيّة في شبه القارة ، و مما يميّز هذه الكتب أنها جمعت بين مراعاة أوضاع الطالب الذهنية و الثقافية و اللغوية لأنها أعِدّت على أيدى أبناء هذه القارة الناطقين بلغاتها و بين جودة اللغة و ارتفاع مستواها بدون شائبة من العجمية كأنها كتبت بأقلام أهل اللغة ، و هذه الكتب أدخلت في المناهج الدراسية فيما قامت به الهيئات المسئولة من التحسينات في السنوات الأخيرة.

مآخذ و اقتراحات :

وبالرغم مما ذكرناه من إيجابيات هذا النظام ، و الأخرى التي لم نشر إليها ، و بالرغم من بعض التحسينات التي أُدخِلت في السنوات الأخيرة ، لم يزل هناك - شأن كل عمل إنساني - مجال للتحسين و التطوير و مواطن من الضعف من حيث المادةُ المدروسة ومن حيث الطريقةُ التي تعالج وتقدم بها هذه المادة ، و فيما يلي نقدّم ما ينبغي الإشارة إليه من مواطن الضعف مع اقتراح ما يزيله :

أولا : من ناحية المادة :

ا - الشعر العربي:

يؤخذ على المادة الشعرية المقررة من المرحلة الثانوية إلى العالية ما يلي :

١. عدم شمول هذه المادة لجميع العصور الأدبية ، فأُخذت فيها نماذج من العصر الجاهلي (ممثلة في **المعلقات السبع**) و عصر صدر الإسلام (ممثلة في بعض مقطوعات **ديوان الحماسة**) ثم العصر العباسي الثاني ، و أهملت العصور الأدبية الأخرى ، ثم وقع الاختيار في العصر العباسي الثاني على شاعر واحد فقط و هو **المتنبي** ، فلا يعرف الطالب شيئا عن الشعراء الممتازين في بقية العصور و عن أعمالهم الأدبية ، كما أنه لا يزال جاهلا

عن شعراء العصر العباسي الثاني ماعدا **المتنبي** .

٢. يُعْوِز هذه المادةَ شمولُها للأغراض و المعاني الشعرية التي طرقها الشعراء العرب طيلة قرون .

٣. بعض هذه الكتب مقررة بكاملها ، مثل **المعلقات السبع** و بعضها الأخرى قررت أجزاء منها ، ولكن اختيار هذه الأجزاء لايخضع لأسس فنية و أدبية و إنما بدأ واضعو هذه المناهج الكتاب من أوله و قرروه إلى حيث رأوه مناسبا للوقت المخصص لهذه المادة ، فـ**ديوان المتنبي** مقرر من البداية إلى نهاية قافية الباء ، فجاء في هذا القدر المقرر ما يُعد من جيّد شعره كما جاء فيه ماهو دون ذلك ، وأُهمل ما هو أجود و أروع مماجاء في الحصة المقررة ، فلو اختيرت الأبواب و المقطوعات على أساس حظها من الجودة لكان أحسن ، و هذا هو الشأن في **ديوان الحماسة** ؛ فالمقرر منه باب الحماسة فقط و هو أول أبوابه ، و أُهملت أبواب تُعد من أهم و أشهر الأبواب في الشعر العربي مثل الغزل و الرثاء ، مما يؤكد أن واضعي هذه المقررات لم يكن نصب أعينهم اختيار الأجود و الأروع .

فالحاجة ماسة إلى إعادة اختيار الشعر العربي المقرر على الطلبة في مراحله التعليمية المختلفة مع مراعاة مايلي في هذا الاختيار :

(١) أن يوسّع هذا الاختيار إلى جميع العصور الأدبية و معظم الأغراض الشعرية و الاتجاهات الأدبية و القوالب الفنية التي اختارها الشعراء لصياغة تجاربهم و أحاسيسهم.

(٢) ينبغي أن لا يقصر هذا الاختيار على مجرد شهرة الشاعر في الأوساط الأدبية ، بل يكون أساسُ هذا الاختيار هو الجمالَ في التعبير و عذوبةَ اللفظ و صدقَ العاطفة و عمقَ التأثير و البعدَ عن التكلف ، فيجده الطالب كأنه صدى لما في نفسه و يجد الطالب نفسه بما فيه من المتعة و التجاوب مع أحاسيسه مدفوعا إلى أن يتذوقه تذوقا و يحفظه حفظا ، و إن المناهج التي نتكلم عنها هي من الثانوية إلى العالية (المعادلة لمرحلة البكالوريوس) و ظاهرٌ أن هذه ليست مرحلةَ التخصص في الأدب العربي و إنما يُلِمّ فيها الطالب به إلماما ، فعلينا أن نُقدّم له فيها مادة تُحبِّب إليه الأدب العربي و اللغة العربية و لا تُكَرِّههما

إليه ، و ينبغي أن يكون غرضنا من هذه المادة المطروحة لديه أن نجعلها أداة لإرهاف ذوقه الأدبي و تثقيف لسانه و إقداره على التمتع ببديع المعاني و جميل التعبيرات في اللغة العربية وترسيخ هذه التعبيرات في ذهنه حتى يستطيع أن يستخدمها في مواضعها ، فالشعر مهما كان أسهل لفظا و أعذب جرسا و أعمق تأثيرا و أكثر استمالة للقلب كان أوقع في القلب و أبقى في الذهن و أدعى للحفظ؛ و مثل ما ذكرناه من الشعر يأبى إلا أن يتبوّأ مقعده من ذهن قارئه ، و بفضله تأتي الطالبَ التعبيراتُ الجيدة و الكلمات المناسبة للموقف عند إرادته التكلم أو الكتابة، وهذا هو أعظم الغرض من تعليم الشعر العربي في هذه المراحل التعليمية ، و إلا فما قيمة قصيدة شاعر معروف يُحشّى بها ذهن الطالب حشوا و لا يقبلها إلا كرها ، فينبغي أن يكون أكبر تركيزنا في اختيار المادة الشعرية على ما ذكرناه و إن كانت لشعراء غير معروفين نسبيا ، و مثل هذا الشعر غير قليل في الشعراء الذين لم يشتهروا بوصفهم شعراء ، و أذكر على سبيل المثال الإمام الشافعي - رحمه الله - فإنه عُرِف فقيها و محدثا ، و له ديوان شعر معروف ، و لا أدري ما يقول فيه النقاد والمؤرخون للأدب العربي ، لكنّ من الواضح أن نماذج كثيرة من شعره يجده الطالب - لو قدِّمت له هذه النماذج - أعلقَ بقلبه من كثير من كلام " فحول الشعراء " .

(٣) ينبغي أن يكون هناك جزء لا يستهان به من هذه المادة للحفظ ، فيطالب الطلبة بحفظها ، و أن يكون اختيارها على أساس سهولة الحفظ.

(٤) ينبغي أن تكون هناك مادة تقدم على أساس ما يسمى بـ **القراءة الموسّعة** ،ــــ و يقصد بهذا النوع من القراءة ما لا يركّز فيه على تفاصيل النص و مفرداته ، و إنما يراد به أن يفهم الطالب النص فهما عاما ـــ فيُقدَّم له مادةٌ شعرية و يطالب بقراءتها بنفسه دون أن يشرحها له الأستاذ شرحا وافيا ، و يطالب الطالب أيضا أن يختار من هذه المادة ما كان أكثر إعجابا به ؛ فإنّ مما يختبر به ذوق الأديب و خبرته هو اختياره ، وبهذه الطريقة نبعث في الطالب ثقة بنفسه بأنه يستطيع أن يستقل بفهم التراث العربي و تذوّقه .

٢. النثر العربي :

إن دارس لغتِها كلغة حية يكون إلى دراسة النثر أحوج منه إلى دراسة الشعر ، طبعا ، لا يجحد ما للشعر من دور في إرهاف الذوق و زيادة التشويق و التمتع بالجمال الفني، لكن الدارس العادي للغة لا يحاكي الشعر في التعبير عما يخطر بخاطره ، إن الذي يحاكيه هو النثر ، فالنثر أكبر دورا في تدريس اللغة و تنمية المهارات الأربع ، خاصة مهارة التعبير بنوعيه الكتابي و الشفوي ؛ فهو أحق بأن يَحظَى بأكبر عناية واضعي المناهج و المقررات ، و قد استحسن الوضع في مجال النثر بعد إدخال بعض كتب الشيخ **أبي الحسن على الندوي** – رحمه الله – في المقررات الدراسية ، لكن لم تزل هناك بعض المآخذ على هذه المقررات ، بعضها من ناحية المادة و أكثرها من ناحية عرضها و معالجتها ، و سوف نتعرض لناحية العرض و المعالجة فيما بعد ، و نكتفي هنا بالإشارة إلى بعض ما يؤخذ عليها من حيث المادة :

١. **مقامات الحريري** مقررة من المقدمة إلى المقامة العاشرة ، و هنا أيضا نلاحظ ما لاحظناه في الشعر من فرض المادة المسلسلة دون الإختيار على أسس فنية أو تعليمية ، فينبغي اختيار بعض المقامات مع اختيار بعض النماذج الأخرى من المؤلفين الذين اتبعوا نفس الأسلوب أو قريبا منه ، من أمثال بديع الزمان الهمذاني .

٢. إن أسلوب المقامات و ما شابهها يمثّل عصر الانحطاط ، و أيضا اتباع هذا الأسلوب للطالب من الصعوبة بمكان ، و قيمة تدريس الكتابات الممثلة لمثل هذا الأسلوب إنما تكمن في الثروة المعجمية التي يحصل عليها الطالب ، و اشتمال مثل هذه الكتابات على ثروة قاموسية وافرة أمر لا يمكن جحده ، لكن من الواضح أيضا أن حفظ الكلما ت الجديدة من خلال العبارات الثقيلة دون أن تقع هذه الكلمات في سياق مناسب جذاب لا يُجدي كبير نفع لإثراء المادة المعجمية لدى الطالب ، فلعله يكون من المناسب التقليل من حظ مثل هذه الكتابات من مناهجنا.

٣. لقد خطا الأدب العربي في القرنين التاسعَ عشر و العشرين من الميلاد خطوات

واسعة التقدم إلى الازدهار و التطور ، و لعل ما قطعه النثر العربي من الأشواط في هذا المضمار كان أكثرَ مما قطعه الشعرالعربي منها، فرجع أدباء العصر الحديث بالنثر العربي من الزخرفة اللفظية و الألاعيب اللغوية إلى ما كان عليه في عصوره الأولى من الصفاء و البساطة و الطبيعية مع الاحتفاظ برونقه و قدرته على إثارة الإعجاب ، فمن حق الطالب في هذه المدارس و المعاهد على واضعي المناهج و المقررات أن يعثُر على نماذج منها ، و قد أدّى شيئا من هذا الحق الشيخ السيد **أبو الحسن علي الندوي** - رحمه الله - في كتابه **مختارات من أدب العرب** ، و لكن هناك ثلاث مجالات من النثر العربي الحديث لم يزل الطالب بحاجة إلى أن ينال نصيبه الأوفر منها ، **الأول:** الأدب الصحفي ؛ فإن الطالب أحوج ما يكون إلى هذا النوع من الأدب ، لكي يتمرس على بيان مواقفه تجاه ما يحدث في الحياة ، و **الثاني** : الأسلوب العلمي أو العلمي المتأدب ،لكي يقدر على كتابة البحوث و الدراسات في مجالات المعرفة الإسلامية المختلفة ، و **الثالث** : هو الأدب الروائي و القصصي ؛ فإن ما صدر في عصرنا في هذا المجال أمتع من فن المقامة و ما يشبهه . و المتعة مما يُحبّب اللغة إلى الدارس و يُسهّل تحصيلها .

٣. *البلاغة و النقد :*

إن الغرض من دراسة كل من النقد و البلاغة هو القدرة على معرفة حظ النص الأدبي من الجودة و الجمال و ما كُتِب له من النجاح في التعبير عن المعنى حسب ما يُرام، بيد أن النقد يتناول العمل الأدبي ككل ، في حينٍ تتناوله البلاغة جملة جملة ، وقد كان النقد الأدبي أسبقَ ظهورا من البلاغة ، و ظلا ممتزجين في القرنين الثالث و الرابع من الهجرة ، ثم بدأت البلاغة تَتبَلّور ملامُحه و تظهر كعلم مستقل عن النقد إلى أن بلغ استقلال البلاغة عن النقد أوجَه على يد **السكاكي** (ــ ٦٢٦هـ) في كتابه **مفتاح العلوم** (٥) ، ثم جاء بعده **القزويني** (ــ ٧٣٩ هـ) و لخّص ما جاء في كتاب **السكاكي** من مباحث **المعاني** و **البيان** و **البديع** في كتابيه **تلخيص المفتاح** و **الإيضاح** ، وكان

التلخيص أوفرَهما حظا من إقبال الناس عليه شرحا و درسا ، و من أشهر شروحه شرحا **سعد الدين التفتازاني : المختصر و المطوّل .**

و كانت البلاغة في أدوار امتزاجها بالنقد أقرب إلى ذوق العربية الصافي ، و بَعْد استقلالها أصبح يسودها قدر كبير من الجفاف ، فكانت إلى القواعد الرياضية الحاسمة أشبه منها إلى تذوق اللغة و الأدب ، و مردُّ ذلك ـ إلى حد كبير ـ إلى النزعة العقلية السائدة في الأوساط العلمية و الأدبية في ذلك الوقت ، و من هنا كان إقبال الناس على **التلخيص** أزيد من إقبالهم على **الإيضاح** ، مع أن القزويني كان أرهف ذوقا في هذا الأخير منه في الأول ، و لَقِي شرحا **التفتازاني** من القبول و الذيوع ما لم يلقه شرح آخر على **التلخيص** ، بالرغم من أن هذين الشرحين من أجفّ شروحه .

و المقرر في مناهج هذه المدارس و الجامعات لتدريس البلاغة هي **دروس البلاغة** و **تلخيص المفتاح** و **المختصر** ، و دروس البلاغة إنما أدخل في السنوات الأخيرة ، أما التلخيص و المختصر فلم يزالا موجودين على قائمة الكتب المقررة منذ عهد الملا **نظام الدين السهالوي** (ــــ ١١٦١ هـ) الذي يُنسب إليه النظام التعليمي المعروف بـ **الدرس النظامي** ، و يتّضح مما ذكرناه أن اختيار هذين الكتابين لم يكن من أجل قيمتهما البلاغية و الفنية ، و إنما كان ذلك الاختيار مما فرضه الوضع السائد آنذاك ، فكأنهم اختاروا مثل هذه الكتب تمشّيا منهم مع مقتضيات ذلك العصر ، أما الآن و قد تغيرت الأذواق و تطورت النزعات فلم نعُد نحن بحاجة إلى مثل هذه الكتب التي لا تسمن و لا تغني من جوع ، إن الطالب ليبدأ في هذه الكتب ليتعلم البلاغة العربية و يتمرّس عليها ، فإذا هي تتيه به في أودية من المباحث العقلية الجافة التي لا تمت بكبير صلة و لا بصغيرها إلى البلاغة .

فالأمر بمسيس الحاجة إلى استبدال هذه الكتب بمقررات تدرّس بها البلاغة و النقد جنبا إلى جنب ، مع إعطاء النصيب الأكبر للجانب التطبيقي ، و يمكن أن يستفاد في هذا الصدد بمقررات بعض البلاد العربية في المرحلة الثانوية ، و لا ننكر هنا ما لبعض

القواعد المذكورة في **التلخيص** و أشباهه من قيمة دلالية تفيدنا في تفيسر النصوص من القرآن و السنة ، لكنه يمكن انتقاء هذه المادة و عرضها بأسلوب سهل مبسّط.

فإذا أبينا إلا الإصرار على البلاغة السكاكية و الاقتصار عليها فـ **الإيضاح** للقزويني أولى و أنفع من التلخيص و شرحه **المختصر** ، شريطةَ أن تُزاد إليه دراسات تطبيقية على القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ـ على صاحبه الصلاة و التسليم ـ ، و تفسيرُ **الكشاف** للزمخشري و أشباهه يمكن أن يمدنا بكبير عون في هذا الصدد.

ثانيا : من حيث عرض المادة و معالجتها:

وهناك خطوات نرى من المناسب اقتراحها هنا من حيث عرض هذه المادة اللغوية و الأدبية ومعالجتها و نوجزها كالآتي :

١. مما يُعوز هذه المناهجَ أنها ليست مصممة على أساس المهارات اللغوية الأساسية الأربع ، وبالتالي لا تكسب الطالب إلا مهارة الاستيعاب للنص المكتوب ، و قد سبق أن هذا القدر لا يكفي في تدريس اللغة ، كما بيّنا أسباب حاجة طالب العلوم الدينية إلى اكتساب هذه المهارات ليس من الناحية اللغوية فحسب ، بل من الناحية الدينية أيضا .فينبغي أن يعاد ترتيب هذه المادة و تصميمها على الأسس الحديثة .

٢. و مما يرجع إلى الاكتفاء على مهارة واحدة فقط أن هذه المناهج ينقصها و جود تمارين مع المادة المدروسة ، و قد يقال إن المعلم يستطيع أن يُعدّ تمارين و يجريها في الفصل حسب ما يراه لائقا لمستوى تلاميذه ، لكن ـــ كما يعلمه من له إلمام بعمليات التعليم ـــ إعداد التمارين من أصعب عمليات التعليم و أحوجها إلى الدقة و المهارة الفنية، فليس بوسع كل مدرس أن يقوم بهذا العمل ، فينبغي أن تكون التمارين جزء لا يتجزأ من الكتب المقررة على الطالب .

٣. الطريقة السائدة في هذه المعاهد لتدريس اللغة العربية تعتمد أساساً على استعمال اللغة الوسيطة و الترجمة إليها ، و قد شهدت التجارب أن هذه الطريقة لا تؤتي كبير ثمرة ، ومن مساوئ هذه الطريقة أن الطالب لايتعود التفكير باللغة التي يريد تعلمها بل يتفكر

أولا بـلـغته الأم أو باللغة الوسيطة ــ وهى الأردية فى حالتنا ــ ثم يترجم ذلك إلى العربية ، و بهـذا يتـورط فـى كثيـر من الأخطاء لما بين اللغتين من فروق فى النظم اللغوية ، فا لأولى اتبـا ع الـطـريـقة المباشرة ، و هى أقرب إلى الطريقة الطبيعية التى يتعلم بها كل إنسان لغته الأم ، نعم ! هناك فوائد للترجمة لا يمكن غض النظر عن أهميتها ، و الترجمة فن قائم برأسه يـحتـا ج الـطـالـب إلـى التـدرب عـلـيـه ، لكن يمكن تحقيق هذا الغرض بتخصيص ساعات لـلترجمة ، و الأولى أن تكون هذه ساعات القرآن الكريم و الحديث الشريف ، حتى يتعلم الـطـالـب أسـاليـب التـرجـمة و يتـمكن من بيان معانى القرآن الكريم و الحديث الشريف باللغة الأردية و اللغات المحلية فى نفس الوقت .

٤. مـمـا يعين كثيرا فى تدريس اللغة بطريقة مباشرة استخدام المعاونات المسموعة و المبصرة ، فباستخدام المعاونات المسموعة نستطيع أن نُجيد نطق الطالب و طريقة إلقائه لـلـنـص الـعـربـي مـن خـلال إسـمـاعه نماذج من القراء ات و الخطب بأصوات العرب ، و الـمـعـاونـات الـمـرئية خاصة الفيديو تساعد على خلقِ جوٍ مناسب لما يدرسه الطالب فى كتـابـه ، فـكـأنـه يـعيـش فـى البيئة التي تجرى فيها الأحداث بمسع منه و مرأى 'و كأنه لا يـدرس الـلـغة فى الفصل و من المعلم و إنما يدرسها فى البيئة العربية و من الحياة نفسها ؛ و هـذا أمـر مهـم جـدا فـى تـعـلـيـم الـلـغة بطريقة مباشرة ، و هو يُوفّر كثيرا من وقت الطالب و المعلّم و جهدهما .

و لعله يكون لبعض هذه المدارس و الجامعات تلكّؤ فى استخدام الصور الحيوانية و فيـديـو من حيث عدم جوازها شرعا ، و ليس هذا موضع الخوض فى نقاش فقهي ، لكنى أجـرأ بـعـض الـجـراء ـة فـى دعـوة فقهاء هذه المدارس و الذين يتولّون الإفتاء فيها إلى أن يبـحثـوا بـجِـدّية فيـما إذا كانت حرمة الصور الحيوانية شاملة لما يستعمل منها للأغراض العلمية و التربوية .

٥. لـقـد رأينا خلال جدول المناهج و المقررات أن الأدب و البلاغة يدرّس كل واحد مـنهما منفصلا عن الآخر ، ثم الأمر كذلك في نوعي الأدب : الشعر و النثر ، فهناك سنوات

يدرس فيها الطالب النثر فقط و سنوات يدرس فيها الشعر فحسب ، و لعله يكون من الأنفع أن يحصل الطالب في كل عام على قدر من الشعر و النثر ، و كذلك يبدو من المناسب أن تدمج مادة البلاغة مع مادة الأدب حتى يجتمع النظرية و التطبيق ، و يكون كل واحد منهما عونا على فهم الآخر.

٦. لقد جرت العادة في وضع المناهج الجديدة لتعليم اللغات بتخصيص جزء من المقرر للقراءة الموسّعة التي يستقل بها الطالب و لا يشرح فيها المعلم النص المطلوبة قراءته و إنما يراد بها فهم الطالب المعنى و المغزى العام للنص . فينبغي تخصيص بعض النماذج الطويلة نسبيا لهذا الغرض ، و مما يؤظف له هذا النوع من القراءة هو التدريب على إجادة الكتابة باللغة العربية ، فيؤمر الطالب بقراءة مقال صحفي أو خاطرة أو قصة قصيرة و ما إلى ذلك و بالإضافة إلى الأسئلة و التدريبات الأخرى يطالب بأن يقوم بكتابة نفس الموضوع ، و لا بأس - في البداية - أن يعيد فيها كثيرا من تعبيرات الأصل لأن الغرض ترسيخ هذه التعبيرات في ذهنه و حمله على محاكاة هذا النموذج الأدبي ، و ليست اللغة إلا محاكاة ، في البداية يؤمر الطالب بالكتابة في نفس الموضوع ، و بعد حصول شيء من المران يؤمر بالكتابة في الموضوع المشابه لذلك الموضوع . وقد جرّب هذه الطريقة كاتب هذه الأسطر على عدد من الطلبة فوجده مفيدا ، و يجد الطالب فيها كبير تشجيع و ثقةً بنفسه بأنه يستطيع أن يحاكي هؤلاء الكتّاب ، وقد أشار إلى شيء من هذا **ضياء الدين ابن الأثير** في كتابه **المثل السائر** غير أنه طبّق هذه الطريقة على الشعر و نرى أن تطبيقها في زمننا و في مدارسنا على النثر أسهل و أنفع ؛ فإن التدريب على كتابة النثر الجيد يقع على رأس قائمة الأوّليات ، و قد بين ذلك **ابن الأثير** في فصل طويل من كتابه و نرى أن ننقل شيئا من عبارته ؛ فيقول (٦) :

من أحب أن يكون كاتبا أو كان عنده طبع مجيب فعليه بحفظ الدواوين ذوات العدد و لا يقنع بالقليل من ذلك ، ثم يأخذ في نثر الشعر

مـن مـحفوظاته ، و طريقه أن يبتدئ فيأخذ قصيدا من القصائد فينثره بيتا بيتـا عـلـى التـوالـي ، و لا يستـنـكف في الابتداء أن ينثر الشعر بألفاظه أو بـأكثـرهـا ؛ فـإنـه لا يستـطيـع إلا ذلك ، وإذا مرنتْ نفْسه و تدرَّب خاطرُه ارتـفـع عن هذه الدرجة و صار يأخذ المعنى و يكسوه عبارة من عنده ... وهذا شيء خبرته بالتجربة و لا ينبئك مثل خبير

ثم يضيف مبررا اقتراحه التدريب على أساس الشعر فقط :

فـإن قيـل: الـكلام قسمان منظوم و منثور ، فلِمَ حضَّضْتَ على حفظ المنظوم و جعلته مادة للمنثور ؟ و هلّا كان الأمر بالعكس؟

قـلـت في الجواب : إن الأشعار أكثر ، و المعاني فيها أغزر ، و سبب ذلك أن الـعـرب الـذيـن هـم أصـل الـفصاحة جُلّ كلامهم شعر ، و لا نجد الـكـلام الـمـنثـور في كـلامهم إلا يسيرا ، و لو كثُر فإنه لم يُنقل عنهم بل الـمنقول عنهم هو الشعر، فأودعوا أشعارهم كل المعاني... فكان الشعر هـو الأكثـر ، و الـكـلام الـمنثور بالنسبة إليه قطرةٌ من بحر ... فكان حَثّي على حفظها و استعمال معانيها في الخطب و المكاتبات لهذا السبب .

ولا شك أن مـاقـالـه ابـن الأثيـر صـحيـح إذا و ضـعنا في الاعتبار الأدبَ العربيَّ في عصوره الـمتـوسـطة ، و أمـا إذا وسّعنا أساس الأدب إلى العصر الحديث فتبريرُ تخصيص التدريب بـالشعر من الصعوبة بمكان ، و إنما أخذنا المادة الأدبية من حيث إنه يصلح للمحاكاة ، و مـا مـن شك فـي صـلـوح الـنثر لـلـمحاكاة كما لا شك في أن جيد النثر غير قليل إذا أخذنا الأدب العربي في جميع عصوره .

عوائق و صعوبات:

لـعـلـنـا نكون غير منصفين لهذه المدارس و الجامعات لو لم نذكر أنه قد قام بعض المدارس و الجامعات بإدخال بعض التحسينات في المناهج و في طرق التدريس ، بعضها

من قِبَل وفاق المدارس العربية باكستان و بعضها من التي قام بها بعض المعاهد بنفسها ، و بعضها من المعاهد خارج نطاق وفاق المدارس العربية ، كما نرى من الواجب علينا أن نذكر أن هناك بعضَ الصعوبات و العوائق التي تقوم بدورها في الحيلولة بين هذه المدارس و الجامعات و بين إدخال بعض التحسينات بما فيها ما ذكرناه من الاقتراحات ، و نوجز أهم هذه الصعوبات فيما يلي :

١. قلة الموارد المالية ؛ فكثير من لوازم تدريس اللغة العربية بطرق جديدة ،مثل استعمال المعونات الصوتية و البصرية و اقتناء الكتب الجديدة و الحصول على خدمات ذوي خبرات في هذا المجال و ما إلى ذلك يكلف نفقات باهظة قد لا تستطيع هذه المعاهد تحمّلها.

٢. قلة الخبراء في تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها على مستوى مقنع و خبراء في وضع مناهج لهذا الغرض.

٣. قلة الفرص المتاحة للتدريب الكافي لمعلمي اللغة العربية على مستوى يليق بهذه المدارس و الجامعات .

توصيات :

و قبل الختام نود أن نقدم توصيات إلى الجهات المسئولة عن الأمر خاصة ، و المسلمين و الغيورين على اللغة العربية عامة رجاء أن تقع منهم موقع القبول :

١. نرجو من أصحاب الفضيلة العلماء المسئولين عن هذه المدارس و الجامعات و المنظمات التي تنتمي إليها هذه المعاهد أن يولوا المزيدَ من العناية لتدريس اللغة العربية فيها و تطوير مناهجه و تحسين طرقه ، حتى يصبح المجهود الكبير المبذول فيها للغة العربية أكثر و أجود ثمرة مما هو عليه الآن .

٢. إن وضع المناهج لتدريس لغة ما لغير الناطقين بها يحتاج إلى دراسات مقارنة بين اللغتين اللغة المراد تدريسها و اللغة التي ينتمي إليها دارِسُو هذه اللغة كلغة ثانية ، فبهذه

الدراسات يمكن معرفة الفروق التي تُوَرِّط كثيرا من الدارسين في الأخطاء ، و لم يزل الحاجة إلى مثل هذه الدراسات في بلادنا ملحة ، و الأمر يحتاج إلى دراسات نظرية كما يحتاج إلى دراسات حقلية ، و المتاح الموجود من الدراسات النظرية في هذا الصدد قليل جدا ، و أقل منه بكثير، الدراسات الحقلية ، فنلتمس من أقسام اللغة العربية في جامعات باكستان أن تهتم بملئ هذا الفراغ ، و تصرفَ إلى مثل هذه الموضوعات أكبرَ عنايتها عند فرضها عناوين البحوث على طلبة الدراسات العليا من ماجستير و أيم فل و الدكتوراه .

٣. نرجو من البلاد العربية الشقيقة الغيورة على اللغة العربية أن تُكثر من مبعوثيها إلى هذه المعاهد من ذوى خبرات واسعة في تدريس اللغة العربية .

٤. كما نوجه النداء إلى البلاد العربية و الهيئات الخيرية و أهل الخير و الفضل من محبي هذه اللغة العظيمة أن يمدوا يد العون إلى المعاهد التي تريد الرفع من مستوى تدريس هذه اللغة لكن قلة الموارد تعوق دون تحقيق هذا الهدف النبيل .

والحمد لله أولا و آخرا .

هوامش

(١) و من الجدير بالذكر هنا أن دستور **جمهورية باكستان الإسلامية** ينص على أن رسمية اللغةالإنجليزية أمر مؤقت .

(٢) حنا الفاخوري : الجامع في تاريخ الأدب العربي ، منشورات ذوى القربى (بلد النشر غير مذكور) الطبعة الأولى سنة ١٤٢٢ هـ ١/٨٥.

(٣) نفس المرجع .

(٤) ماخوذ من فعاليات اجتماع المجلس العام لـ **وفاق المدارس العربية باكستان** المنعقد ٢٣ شعبان ١٤٢٤ هـ .

(٥) يراجع : الدكتور علي عشري زايد : **النقد الأدبي و البلاغة في القرنين الثالث و الرابع**،

مجمع البحوث الإسلامية إسلام آباد الطبعة الأولى سنة ١٩٨٥ م .

(٦) ابن الأثير ، ضياء الدين : **المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر** تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد المكتبة العصرية بيروت ١٩٩٥م ١/١٠٠